مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - الجزء الاول - المجلد الثالث و الخمسون

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

لغـــة ألف ليلة وليلـــــة

د. احمـــد مطلـــوب

عضو المجمع العلمي

رئيس دائرة علوم اللغة العربية

الملخص :

ذهب بعض الدارسين من العرب والمستشرقين الـــى ان كتاب (ألف ليلة وليلة) تراث شعبي ، وان لغته عامية ليســهل فهمه على المتلقين . ودراســـة الكتاب دراسة متأنيـــة تنقـــض ذلك ، وقد ظهر من متابعة لغته وأسلوبه أنـــــه عربـــي يتســم بالجمالية وحسن التعبير ، وان ألفاظه عربية وإن انزاح بعضها عن معناها الأصلي لتأخذ دلالة جديدة تعبر عما أراد صـــاحب الكتاب التعبير عنه ، وليس فيه إلا ألفاظ أجنبية قليلة مما كـــان شائعا في بيئات العراق والشام ومصر ، يوم ظـــــهر الكتـــاب بصورته الأخيرة .

وهذا البحث إيضاح لذلك ، وردٌ الاعتبار الى الكتـــــاب الذي خذله كثير من الباحثين .

(١)

نمت اللغةُ العربية نموا كبيرا بعد نزول القرآن الكريم وقيام الدولة العربية ، وكانت تزداد نموا كلما تقدم الزمن لتعبر عن المستجدات ، ووصلت في العصر العباسي الى أَوْج ازدهارها بفضل الحضارة العربية الإسلامية ، وحركة التأليف ، ولكن لم تَبْقَ نقية لأنَّ ألفاظ لغات أعجمية تَسرَّبت اليها بعد اتساع الحكم العربيّ ودخول غير العرب في دين الله أفواجا .

وفي ضوء الواقع الذي عاشته العربية ظهر المُعَرَّبُ والدخيل ، وأُلِّفت كتب فيهما، منها (المُعرَّب) للجواليقي (- ٥٤٠هـ) و (تحقيق الكلمة الأعجمية) لابن كمال باشا (- ٩٤٠ هـ) و (شِفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) للشهاب الخفاجي (- ١٠٦٩ هـ) .

ووُضِعَت كتب لتنقية اللغة العربية ، ويُعدّ كتاب (ما تلحن فيه العامة) المنسوب الى علي بن حمزة الكسائي (- ١٨٩ هـ) من أقدم الكتب التي اهتمت بتنقية العربية في القرن الثاني للهجرة . وتوالى التأليفُ في هذا الحقل فظهر (كتاب الفصيح) لثعلب (- ٢٩١ هـ) و (إصْلاح المنطق) و (كتاب الألفاظ) لابن السِّكيت (- ٢٤٤هـ) و (أدب الكاتب لابن قتيبة) (- ٢٧٦ هـ) و (لحن العامة) للزُبيدي (- ٣٧٩هـ) و (تثقيف اللسان) للصقلي (- ٥٠١ هـ) و (دُرَّة الغواص في أوهام الخواص) للحريري (- ٥١٦هـ) و (تكملة إصلاح ما تغلط فيه العوام) للجواليقي .

ولم تُوقِفْ هذه الحركةُ تسربَّ الألفاظ الأعجمية الى العربية ، إذ ظهر ذلك منذ عهد الترجمة ، ولا يكاد كتاب يخلو من بعض الألفاظ

الأَجنبية ، إما تملحا أو حاجةً أو عَجْزا . وكتبُ الرحلات حافلة بذلك كرحلة ابن جُبير (- ٦١٤هـ) الذي زار مصر والحجاز والعراق والشام وصقلية ، وذكر ما سمع في هذه الأَقاليم من أَلفاظ . ورحلة ابن بطّوطة (- ٧٧٧هـ) الذي طاف في معظم مناطق آسية ، وبعض مناطق أَفريقية ، وذكر في رحلته كثيراً من الأَلفاظ الأَجنبية التي سمعها ، وتعامل معها خلال رحلته الطويلة .

ولم يسلم أُسامة بن منقذ (- ٥٨٤هـ) وهو الأَديب البليغ ، والشاعر البارع من تسرب الأَلفاظ الإفرنجية الى كتابه (الاعتبار) حيث كان في مواجهة الغزو الصليبي ، والتعامل مع واقع الحياة .

وشاعت الفنون الشعرية غير المُعْرَبة ، ووضع صفي الدين الحلي (- ٧٥٠ هـ) كتاب (العاطل الحالي والمرخص الغالي) متكلما على الزجل والمواليا ، والكان كان ، والقوما ، ومستشهدا بنصوص من مصر ، والعراق ، والشام ، والأَندلس ، وفي هذه النصوص ما يخرج عن العربي السليم .

وكان من الطبيعي ان تجنح العربية هذا الجنوح بعد ان اضطربت أَحوال العرب ، وران عليهم الجمود ، ولولا الإيمان القوي ما استطاع العلماء أَنْ يصونوا لغة القرآن الكريم ، ويؤلفوا الكتب ، ويضعوا الموسوعات ، على الرغم من استفحال اللهجات المحكية في العهدين المملوكي والعثماني ، وهما الزمن الذي ظهر فيه كتاب (ألف ليلة وليلة) الذي كان عربيا في أَحداثه ولغته وأُسلوبه على الرغم مما فيه من أَلفاظ انزاحت عن معانيها الحقيقية ، وأَلفاظ تسربت اليه من واقع الحياة التي مرت بالناس في ذلك الزمان ، ومن قصص دار بعضها في مصر والشام والعراق .

(٢)

كان زمان الليالي مُمتدّا ، وكان مكانها واسعَ المدى ، وكانت الشخوص كثيرة ، والأَحداث متنوعة ، والقضايا عميمة شملت الدين ، والأَخلاق ، والإجتماع ، والتأُريخ ، والتعليم ، والمرأة ، والسياسة ، والخوارق ، وما كان لمؤلف أَن يعبر عن هذه القضايا لو لم يكن متضلعا من العربية ، ذا ثقافة واسعة ، وخيال مجنح ، وقدرة على السَّرْد ، ورَبْط الأَحداث ، وتتابع الليالي ، وبذلك جاء كتاب (أَلف ليلة وليلة) مُعْجما يضم الأَلفاظ المتنوعة التي عَبَّرت عن المواقف والأَحداث المختلفة ، وكانت لغته سليمة لولا تَسَرُّبُ بعض الأَلفاظ الأَعجمية اليها ، وهو تَسَرُّبٌ لم يكن باستطاعة المصنف أَنْ يِنأَى عنه ، وهو يعيش في عهد لانت فيه اللغة ، فضلا عن أَنَّ المتلقين كانوا يميلون الى الأَلفاظ والعبارات القريبة من مداركهم وأَذواقهم ، وهذا ما أَدركه صاحب الليالي ، فجاء باللغة التي لا ترقى الى الفصحى ، وإِنما تتمسك بالفصاحة ونقاء التعبير ، ووضوح البيان .

(٣)

يكاد الكتاب يَسْتوعِبُ ما في المعجم العربي من أَلفاظ تعبر عن شؤون الحياة ، وتُلقي ضوءً على حضارة ذلك العهد الذي وُصِفَ بالفترة المظلمة ، وما هي بالمظلمة وقد ظهر فيها كتاب الليالي ، والموسوعات ، والمعاجم ، والمدونات الكبيرة .

وأَلفاظ الحضارة ، والأَلفاظ التي عَبَّرت عن الأَحداث تمثل عدة حقول دلالية هي :

أولا : الملابس :

القَباء ــ الأَطلس ــ البدْلة ــ البُرْنَس ــ البِشْت ــ الخف ــ السّروال ــ اللباس ــ الطاقية ــ الحياصة ــ الزَرَبَــون ــ الكَــرك ــ الشــاش ــ الشَدود ــ الهُدْمة ــ الطربوش ــ الطرطور ــ الكوفيــة ــ الثــوب ــ الغلالة ــ الفوطة ــ الفرجية ــ الملوطــة ــ الفــروة ــ القميــص ــ الملاءة ــ الإزار ــ العمامة ــ اللثام .

وهذه من أَبرز ما كان مُسْتَعَملا في العهود السابقة ، وقد بقيــت مستعملة حتى الآن على الرغم من تقدم الحياة المعاصرة ، مــا عــدا : الزَّرَبون ــ الكرك ــ الشدود ــ الطرطور ــ الطربوش ــ الى حدّ مــا ــ الفرجية ــ الملوطة ــ ولعل لها أَسماء معاصرة ، لأَن لكــل لبــاس طريقة في الوصف واللبس ، كما تشــير اليــه المعــاجم والدراســات الحضارية للملابس التي عُني بها المعاصرون من الأَجانب والعرب .

ثانيا ــ مواد التنظيف :

هي قليلة تتمثل في الصابون والسُّعد والإِشنان ، وقد تكون هناك مواد أُخرى مستعملة في القديم لم تذكر في الليالي .

ثالثا ــ الزينة :

كان للمرأَة في الليالي حضور متميز سواء أَكانت جاريةً أم حُرَّةً ، وكلاهما تسعى الى الزينة بمواد قادرة على حصولها ، والمــواد التــي كانت شائعة هي : الألماس ــ الجواهر ــ الذهب ــ الفضة ــ البَرَقَة ــ الياقوت ــ الزمرّد ــ الزبرجد ــ البَلْخَش ــ العقيق ــ اللؤلؤ ــ الدُّر ــ المرجان .

وهذه من مواد أَدوات الزينة ، وقد بقيت ما عــدا : البرقــة ــ البلخش ، أما الأدوات فهي : الخَلْخال ــ الحِجْل ــ الحَلَق ــ السِّوار ــ

الخاتم ، وهي ما تزال مستعملة حتى الآن الى جانب ما جاءت به الحضارة الحديثة من وسائل الزينة وأدواتها .

رابعا ــ العطور :

هي : المِسك ــ الزّباء ــ ماء الورد ــ ماء الورد الممسك ــ الطيب ــ العنبر .

خامسا ــ الطعام :

كان ذكر الأكل والطعام حاضرا في معظم صفحات كتاب الليالي، وهو ما يُعبر عن اهتمام الإنسان بطعامه في كل زمان ومكان . وأنواع الطعام أو المأكول الي ذكر في الكتاب هي : البطارِخ ــ الزيتون ــ الجبن ــ البليلة ــ الحنطة ــ الذُّرة ــ الشعير ــ التمر ــ الزبادي ــ الزرباجة ــ الزَّرْدَة ــ النُّقل ــ الفلفل ــ السكر ــ سكر النبات ــ السُّويق ــ الزيت ــ السيرج ــ العدس ــ الأرز ــ الشوربة ــ والعيش (الخبز) ــ الكعك ــ العَصيدة ــ القرقوشة ــ الرُّقاق ــ العسل ــ الكباب ــ الرغيف ــ القرصة ــ المنينة ــ المساليق ــ الممبار المحشي ــ اليخني ــ الموز ــ الزبيب ــ السمك ــ القرع ــ القثاء ــ الدجاج ــ الأوز .

وهذا ما يعرفه المعاصرون من أسماء الطعام ما عدا : البطارخ ــ الزرباجة ــ السُّويق ــ القرقوشة ــ وقد تكون لها أسماء أُخر ، فالبطارِخ ــ مثلا ــ بيض السمك المملح ــ ولعل كلمة (الكافيار) تدل عليه في العصر الحاضر .

سادسا ــ الفواكه :

هي : الرمان ــ البرقوق ــ النارنج ــ الأُترنج ــ الليمون ــ الكَبَّاد ــ التين ــ العنب ــ البلح ــ الأجاص ــ التفاح ــ القراسية ــ

المشمش . وهذه أسماء معروفة إلا (الكَبَّاد) ــ الواحدة (كُبّادة) وهو نوع من الليمون الحامض طيب الرائحة ــ و (القراسية) وهو كالعنب الأسود .

سابعا ــ الحلوى :

هي : الأَمشاط ــ المشبك ــ القطائف ــ الميمونة ــ البقلاوة ــ الجلاوة ــ لقيمات القاضي ــ الأَصابع ــ الملبَّس ــ الكُنافة .

سابعا ــ الشراب :

ذُكِرَ نوعان من المشروبات في كتاب الليالي ، فالأول المسكر مثل : الخمر ــ البُوظة ــ النبيذ ــ المُدام ، والثاني غير المسكر مثل : ماء الورد ــ اللبن ــ الخل ــ القهوة ــ الشربات ــ الجُلاّب .

تاسعا ــ الأَدوات :

هي كثيرة عَبَّرت عن حاجة الإنسان في ذلك الوقت ، ومن أَدوات المنزل : الصينيّ ــ الصينية ــ القِدْر ــ الكرسي ــ البَرْش ــ التخت ــ الباطية ــ القنينة ــ البتية ــ الخابية ــ المفتاح ــ الضَّبة ــ الدَّسْت ــ الطشت (الطست) ــ الكانون ــ الدَّن ــ البساط ــ الركْوَة ــ الزبدية ــ الزكيبة ــ الزلْعة ــ اللّقان ــ المقلاة ــ المقشة ــ السِّدْلة ــ المصطبة ــ السُّفرة ــ السُّلطانية ــ السِّماط ــ السِّيخ ــ الطاجن ــ القنديل ــ المصباح ــ الشمعدان ــ الصُّرة ــ الطابونة ــ الكاس ــ الطاس ــ الطاسة ــ الطبلية ــ الطراحة ــ الطرحة ــ الإبريق ــ الصندوق ــ الفنجان ــ القداحة ــ القِرْبَة ــ القصرية ــ القَصْعَة ــ القُفَّة ــ القُلَّة ــ القُوارة ــ القُمْقُم ــ القدح ــ الطبق ــ الكارة ــ المخلاة ــ المرتبة ــ الناموسية ــ السرير ــ النطع ــ النمارق ــ البساط ــ المخدة ــ المنديل ــ الهون (الهاون) ــ الكوز ــ الملعقة ــ

المائدة ــ السكين ــ المقص ــ التنور ــ القفص ــ الخِزانة ــ الدولاب ــ السَّلَّة ــ الجراب ــ الجرة ــ الخشخانة .

لا يزال معظم أسماء هذه الأدوات مستعملا إلا : البرش ــ الخابية ــ البتية ــ الزكيبة ــ الزلعة ــ اللقان (الماعون الكبير من النحاس) ــ السّدلة ــ السلطانية ــ الطابونة ــ القصرية ــ القوّارة ــ القمقم ــ المخلاة ــ النطع ــ النمارق ــ الخشخانة ، ولعل كلها أو معظمها لا يزال متداولا بين الناس في بعض أنحاء الوطن العربي . أما الأدوات العامة فهي : الأُكرة (الكرة) الصولجان ــ الاصطرلاب ــ البندق ــ البندقية ــ البوتقة ــ البيكار ــ الجنزير ــ السلسلة ــ الجنك ــ السنطير ــ العود ــ الخرج ــ الخريطة ــ الخطاف ــ الدبوس ــ العكاز ــ الشاذروان ــ المسّجْة ــ السقالة ــ الشكال ــ الشنف ــ الشنكل ــ العقلة ــ القانون ــ القَرَبوس ــ القداحة ــ القِيّ ــ النبال ــ المساحي ــ القواديس ــ الكلاّب ــ الكلبتان ــ البوق ــ المِخَفَّة ــ التختروان ــ المطر ــ المقارع ــ المزراق ــ الصَّبْخ ــ المقطف ــ الشبكة ــ الملقف ــ المنقد ــ النَّرْد ــ المكحلة ــ النافِجة ــ الهراوة ــ الترس ــ السيف ــ السنان ــ السوط ــ الدرع .

لا تزال أَسماؤها مستعملة إلا : البندق ــ الجنزير ــ الجنك ــ الشنف ــ الشنكل ــ القربوس ــ المطر ــ البيكار .

عاشرا : المواد :

الجَزْع ــ الرصاص ــ الحديد ــ البولاء ــ النحاس ــ الورق ــ الشوم ــ الخشب ــ الجير ــ الزلط ــ الحجارة ــ الرمل ــ الطين ــ الحصى ــ الصّوان ــ التراب ــ الرخام ــ المرمر ــ السبج ــ الملح ــ الصوف ــ الحرير .

ولعل الاسمين : الشوم والسبج هما غـــير المســتعملين الآن ، وهناك مواد أُخر هي : الديباج ــ القز ــ الودع ــ الكبريت ــ البلــور ــ الخرز ــ العاج ــ البخور ــ اليــاقوت ــ الزبرجــد ــ اللؤلــؤ ــ المرجان ــ الكافور ــ الفيروز ــ الصَّنْدل ــ القرطاس ــ الصَّبْر .

حادي عشر ــ المقاييس والمكاييل :

الإِردبّ ــ الوقية ــ الرطل ــ الويبة ــ القنطار ــ المشــنة ــ الفرسخ . وهي ما لم يعد استعمالها في الوقت الحاضر بعد أَن استعملت المقاييس والمكاييل الأَجنبية كالكيلو والمتر ونحوهما .

ثاني عشر ــ العملة :

الدينار ــ ربع الدينار ــ نصف الدينار ــ الجدد ــ الدرهــم ــ الدانق . ولم يبق منها الا الدينار والدرهم في بعض الأَقطار العربية .

ثالث عشر ــ الوظائف :

الخليفة ــ الملك ــ الملكة ــ السلطان ــ السلطانة ــ الأَمير ــ الوزير ــ الحاكم ــ القاضي ــ القنصل ــ مقدم الدرك ــ الســلحدار ــ النقيب ــ العريف ــ شاهبندر ــ الشــاويش ــ رئيــس الشاوشــية ــ الخازندار .

وهناك وظائف دينية ، هي : البطريق ــ القسّ ــ القيّم .

رابع عشر ــ المهن والأَعمال :

الإِسكافي ــ الإِسكافية ــ الجزّار ــ الجــزارة ــ المزيــن ــ الزيّانة ــ الحلوانيّ ــ البلاّن ــ البلاّنة ــ الطواشــي ــ القصــاب ــ الجواهرجي (الجوهري) ــ المعلم ــ الحاوي ــ الحرامي ــ الداية ــ الريس ــ الخولي ــ السقاء ــ الســاعي ــ الســايس ــ السَّــقَطي ــ الصَّباغ ــ الحمال ــ الفرّاش ــ الحمّار ــ الصياد ــ الصايغ ــ العكّام

ـ المكاري ـ الخباز ـ الغرابلي ـ المناخلي ـ الغفير ـ الفَعَلَة (العمال) ـ الفاكهانّي ـ القبطان ـ القرداتي ـ القَصَّار ـ القِصلرة ـ القهرمانة ـ القَوَّاس ـ الكفنانيّ ـ الفِلاحة ـ التاجر ـ الماشطة ـ الخادم ـ الخادمة ـ الوصيفة ـ الوزيرة ـ الوقّاد ـ الحمامي (صاحب الحمام) ـ الفسخاني ـ الفوّال ـ البقال ـ الزبال ـ اللَّبان ـ القوَّاد ـ اللص ـ الخياط ـ النحَّاس ـ الجَلاّب ـ الراعي ـ الملاح ـ البواب ـ البوابة ـ الصانع ـ الحطاب ـ الحداد ـ الخياط ـ العطار ـ البزاز ـ الصندلاني .

ولا تزال هذه المهن بأسمائها القديمة التي ذُكرت في كتاب (ألف ليلة وليلة) ما عدا : السَّقَطي ـ العكَّام ـ المكاري ـ القهرمانة ـ القوَّاس ، لغيابها في الوقت الحاضر ، وعدم الحاجة اليها ، ولعل للسقطيّ اسم آخر الآن .

خامس عشر : الأماكن :

هي : دار الخلافة ـ الباب العالي ـ دار النيابة ـ المسجد ـ الجامع ـ القبة ـ الكنيسة ـ الصَّوْمَعة ـ الإيوان ـ الديوان ـ الليوان ـ القصر ـ البيت ـ الدار ـ بيت الراحة ـ بيت الخلاء ـ بيت المطهرة ـ الخان الاسطبل ـ الفسقية ـ البُوظة ـ المَسْكَرة ـ القهوة ـ المقبرة ـ التربة ـ الجَّبانة ـ الدكان ـ الحوصلة ـ الخوخة ـ الدهليز ـ السراية ـ الشراريف ـ الصيوان ـ الطاقة ـ العريشة ـ الغُوطة ـ الغيط ـ الروضة ـ المرْج ـ السوق ـ القاعة ـ المقصرة ـ المقصورة ـ القنطرة ـ الحمام ـ الكَرار ـ الكَفْر ـ الحصن ـ الكيمان ـ المسلخ ـ المارستان ـ المِذْوَد ـ الحوض ـ المسْرح ـ المطمورة ـ المغطس ـ المكتب ـ الكتّاب ـ المنظرة ـ النجع ـ

المسبح ــ البستان ــ السرداب ــ البرج ــ الحُوش ــ السجن ــ الخيمة ــ القلعة ــ المصبغة .

لا تزال أسماء هذه الأماكن مستعملة ما عدا : البوظــة (اســم المكان) ــ الحوصلة ــ الكيمان ــ المارستان ــ المذود ــ المسكرة .

سادس عشر ــ الحيوانات :

هي : الغنم ــ الكلب ــ الحية ــ الحنــش ــ الثعبــان ــ الفــرس ــ الحصان ــ الجواد ــ البغل ــ الثور ــ الهايشة ــ الدرفيل ــ السَّقنقور ــ الجمل ــ السحلف ــ الغزالة ــ السَّمور ــ السّنجاب ــ السِّــنَّوْر ــ السمكة ــ الصِّيرة ــ الدب ــ القرد ــ السبع ــ الأرنب ــ الخروف ــ الجاموسة ــ الكركدن ــ الثعلب ــ القُنْفُذ ــ الفيل ــ البقرة ــ النعام ــ الدندان .

واختفى من هذه الأسماء : الدرفيل ــ السقنقور ــ الصيرة .

سابع عشر ــ الطيور والدواجن :

هي : الأوز ــ الطير ــ الدجاجة ــ الديك ــ القُمري ــ الحمام ــ اليمام ــ البلبل ــ الباز ــ الدراج ــ العقاب ــ الوطواط (الخفــاش) ــ العصفور ــ الفرخ ــ النسر ــ الصقر ــ الهزار ــ الشحرور .

ثامن عشر ــ النباتات :

هي : الأفيون ــ الحشيش ــ البنج ــ الحبَّهان ــ القرفة ــ القرنفــل ــ البنفسج ــ المنثور ــ الخروب ــ المشموم ــ العطريات ــ السمسم ــ الفول ــ الحنطة ــ الشعير ــ الذُّرَة ــ الأرز ــ القمح ــ القراســية ــ القلقاس ــ البصل ــ الآبنوس ــ الخلنج ــ القرع ــ الهندبان (الهندباء) ــ العدس ــ اللوز ــ الحلفة ــ الآس ــ الخزامى ــ شقائق النعمــان ــ الأُقحوان ــ النرجس ــ الياسمين ــ البنفسج ــ الزعفران ــ النخلــة ــ

التوت ــ الموز ــ الجوز ــ الزعتر . وليس في هــذه الأَســماء مــن الغريب إلا : القراسية ــ القلقاس .

تاسع عشر ــ وسائل النقل :

هي : المركب ــ الفُلْك ــ الزَّوْرق ــ الســفينة ــ الغليــون ، وهذه من وسائل النقل البحري والنهري ، أما الوسائل الأُخرى فــهي : الحمير ــ الجمال ــ الخيل ــ البغال .

(٤)

تلك هي أَلفاظ الحضارة التي وَرَدَت في كتاب (أَلف ليلة وليلة) فضلا عن أَلفاظ السَّرْد والشرح والوصف مما هــو معلــوم لا يخــص مرحلة من مراحل التأليف . وهذه الأَلفاظ لم تَشُبْها العجمة إلا قليــلا ، وهي عجمة تَسَرَّبت مما كان مستعملا في العــهد المملوكــي والعــهد العثماني . وقد حفظ الكتاب هذه الأَلفاظ التي لم يَحْوِها المعجم العربــي القديم ، لأَنها حدثت متأخرة ، أَو تغيرت دلالتها ، شأن أيّ لغــة مــن اللغات تتغير فيها الدلالات . وقد أَوضح المستشرق الهولندي رينــهارت بيترآن دُوزي المتوفى سنة (١٣٠٠هــ ــ ١٨٨٣م) بعــض تلــك الدلالات في (تكملة المعاجم العربية) مستندا الى نسخ كتاب (أَلــف ليلة وليلة) المطبوعة وهي :

١. طبعة ماكناتن ــ كلكتة ١٨٣٩م .

٢. طبعة برسلاو ــ ١٨٥٢م ، وتتمة فليشر .

٣. طبعة بولاق ١٢٥١هـ ــ ١٨٣٥م .

٤. ترجمة لين الانكليزية للكتاب ١٨٤١هـ .

وفي هذه الطبعات بعض الاختلافات التي أشار اليها دوزي ، وفي ضوء ذلك فسَّر الألفاظ التي تحوّلت الى دلالات جديدة ، ومن ذلك :

١. ((يا معروف قُمْ واستَخْفِ ، فإنَّ زوجتك اشتكتك الى الباب العالي ونازل عليك أبو طَبَق)) . وأبو طَبَق : الشرطي الذي يقبض على الجاني بأمر القاضي ، وقد سمي بذلك لانه يطبق عليه بعنف . (٧٣/١) . والانطباق بخلاف الانفتاح ، يقال : ((انطبق الشيء صار مُطْبَقا ، أي بخلاف منفتح ومنبسط .

٢. ((أهَّل الطعام)) أي : هَيَّأ (٢٠٦/١) وأصل (أهَّلَ) رآه أهْلا له ، ومستحقه .

٣. ((وأطلعتْ من جيبها بَرْقَةً صغيرة من الصُّفْر مثل الدينار)) (٢٩٩/١) وسميت (بَرْقة) لأنها تبرق أي تلمع فيظنها الانسان من الذهب .

٤. ((الخل البكر)) أي : الحاذِق (٤٠٨/١) سُمِّيَ بذلك لان أول شيء يكون قويا ، وأنّ أول فِعْلة لم يتقدمها مثلها من حيث الدقة والجدة ، وكأنَّ هذا الخل أول مولود أو فعل لم يكن مثله ، او شيء يشبهه .

٥. أُطلِقَتْ كلمُة (الجمعة) على مآتم الأموات يوم الجمعة (٢٧٦/٢) .

٦. تدل كلمة (الاحتباك) على الطرق التي تسير فيها الكواكب ، قال تعالى : ((والسَّماءِ ذاتِ الحُبُكِ)) (الذاريات ٧) ، وفي الليالي : ((احتبكت النجوم)) أي : اختلطت واشتبكت وتلألأت . (٥٢/٣).

٧. ((ضَرَبَ الأكرةَ بالصولجان ، وحَرَّرها على وَجْه الخليفة)) و ((حَرَّر المِدْفَعَ على القلعة)) أي : سَدَّد وأطلق (١٣٠/٣) والتحرير هو الإطلاق .

٨. ((وأنا أحفظها لك عندي في حواصِلي)) ، ((وأمر غلمانه بنقل ذلك الخشب الى حَواصِله)) أي : المخازِن تشبها بحوصلة الطيور والدواجن التي هي مكان خزن الغذاء عندها . (٣/٢٢٠) .

٩. ((الذي يخرج من يدك أفعله)) أي : إن استطعت ذلك فافعل . (٤/٤٣) .

١٠. ((وخليتُ ما عندي من المال ، وكل ما كان عندي من البضائع)) أي : بعتُ ما عندي من الأملاك وكل ما عندي من البضائع . (٤/١٩٢) .

١١. ((أراق الماء)) أي : بال (٥/٢٥٣) .

١٢. ((انساب على روحه)) أي : بال في لباسه (٦/٣٠٢) .

١٣. ((تَصفَّى دمُه)) أي : فَقَدَ كلَّ دمه (٦/٤٥٦) .

١٤. استعمل الفعل (ضرب) بمعنى أطلق ، رمى (٦/٥٠٤) .

١٥. ((طفح الهمُّ على قلبها فماتت)) أي أضناها الهم (٧/٥٧) .

١٦. ((أحظر طاقية وحملها فيها الى منزله)) أي : أحضر محفة (٧/٩٦) .

١٧. ((عَمَّر القناديلَ)) أي : ملأها زَيْتا . (٧/٣٠٥) .

١٨. ((إنْ لم تفعل غمزت عليك نائبَ دمشق)) أي : وشيت بك ، و ((فلما رآها غانم بن أيوب عَرَفَ أنهم تغامزوا عليها)) أي تآمروا (٧/٤٣٤) .

١٩. ((هامت بالافتضاح به)) أي : أرادت أنْ تهبَ نفسها له ، وتمنحه إياها . (٨/٨٤) .

٢٠. ((قام على فلان)) أي : استعجله واستحثه ليحمله على شيء (٨/٤١٧) .

٢١. ((شامة على كرسي خده)) أي : على وَسَط خده (٦٣/٩) .

٢٢. ((التجم عن الكلام)) أي : سكت وانقطع (٢١٣/٩) .

٢٣. ((كل مَنْ أخذ البدلة تكون له ، فلعب عليها سائر العياق فلم يقدروا أنْ يأخذوها)) ومعنى (لعبوا) قاموا بالطواف مرات ليمسكوا بها . (٢٤٤/٩) .

٢٤. ((وإذا بذلك الأسود قد أتى ومعه اثنان أشدُّ وأمرُّ منه)) أي : أقوى منه . (٧ /٣٤) .

٢٥. استعمل الفعل (نثر) بمعنى لحال المسبَّات (١٦٩/١٠) .

٢٦. ((ويبقى بين الملوك بالمعيرة والنقصان)) أي : الانتقاص (٢٩٣/١٠) .

٢٧. ((الإرث نابني معكم ، وقد جعل اللهُ فيه البركة)) أي : الذي استَحقَّهُ وآلَ اليه . (٢٢٥/١٠) .

٢٨. ((وهو يُوَشيها بالحديث)) أي : يُلْهيها ويُسلِّيها (١٤٩/١١) .

هذا بعض ما تغيرت فيه الدلالة وهو عربي سليم ، وقد أحسن دوزِي صُنْعا حينما اهتم بدلالة الألفاظ التي وردت في كتاب (ألف ليلة وليلة) الذي كان من مصادر معجمه (تكملة المعاجم العربية) وقد بلغ عدد المواد اللغوية التي استقاها من كتاب الليالي (٦٢٧) مادة ، موزعة على الأجزاء :

١ ــ ٨٠ ، ٢ ــ ٣٧ ، ٣ ــ ٨٠ ، ٤ ــ ٧٤ ، ٥ ــ ٤٠ ، ٦ ــ ٨٠ ، ٧ ــ ٨١ ، ٨ ــ ٤٦ ، ٩ ــ ٤٥ ، ١٠ ــ ٣٢ ، ١١ ــ ٣٢ .

وفي المعجم إشارات الى أصل بعض الكلمات الأجنبية التي جاءت في (ألف ليلة وليلة) ، وهي :

١. الإسقالة : ويُقال أيضا : سقالة وإصقالة وإسكلة (مستعملة في العراق) ، جمعها (أساكل) وهي السلم المتحرك . (اسبانية) ــ (١٣٥/١) .

٢. الأغا : السيد ، الرئيس (تركية) ــ (١٥٥/١) .

٣. أقما : شراب فيه خل وعَسل . (يونانية) ــ (١٦٣/١) .

٤. البطارِخ : بيض سمك مملح (ايطالية وبروفانسية) ــ (٣٦٧/١) .

٥. الجنزير : السلسلة ، وفي الفارسية (زنجير) ــ (٣١١/٢) .

٦. اختيار : شيخ (تركية) ــ (٢٥٤/٤) .

٧. الدسترة : منشار يدوي . (فارسية) ــ (٣٥٢/٤) .

٨. الساس : مشاقة الكتان . (قبطية) ــ ١٨٦/٦) .

٩. الغليون : سفينة شراعية (اسبانية وايطالية) ــ ٤٣١/٧) .

١٠. القبطان : رُبان المركب (رومانية) ــ (١٧١/٨) .

١١. الناخذاه : رُبان المركب (فارسية) ــ (١٨٣/١٠) .

١٢. الوطاق : مجموعة خيم ، معسكر (تركية) ــ ١٦٨/١١) .

يبدو من هذه الأمثلة القليلة أنَّ العهد الذي أُلِّفَ فيه كتاب (ألف ليلة وليلة) دخلت فيه لغات عدة كالأسبانية ، والبروفانسية ، واليونانية ، والرومانية ، والقبطية ، والفارسية ، والتركية ، وقد جاء هذا التسرب الى اللغة العربية في عهد الحروب الصليبية فيما يخص اللغات الأوربية ، ومن امتزاج الفرس والأتراك بالعرب فيما يخص اللغتين الفارسية والتركية ، وهما لغتا شعبين مسلمين .

هذا قليل من كثير اقتبسه دوزي من كتاب الليالي ، وبقي كثير مما جاء فيه من ألفاظ عامة وحضارية حتى هذه الأيام ، سواء أكان في الكتابة أم التحدث ولاسيما في مصر موطن الكتاب .

وامتد هذا اللون من الألفاظ الى كتب التراث الشعبي ، والى كتب التأريخ ، فعبد الرحمن الجبرتي المتوفى سنة (١٢٤١هـ ـ ١٢٨٥م) ضمَّنَ كتابه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) كثيرا من مثل تلك الالفاظ . ومنها : النوبة ـ العربان ـ الأجلاب ـ دفتردار ـ الدفترداَرية ـ سردار ـ باش جاووش ـ أغا ـ أفندي ـ الحلوان ـ الميري ـ الفرمان ـ النيلة ـ الحوش ـ الكُنافة ـ الفاكهاني ـ الصواني ـ الجراية ـ الفراش ـ الدرابزين ، ونحوها من الألفاظ التي تزخر بها مجلدات الكتاب الذي يعد أعظم كتب تأريخ مصر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد .

(٥)

أمّا أُسلوب كتاب (ألف ليلة وليلة) فهو أُسلوب عربي يتسم بالسلاسة وسهولة التعبير ، ويكاد يكون قريبا مما يكتب الآن وينشر في وسائل الإعلام ، إذ أنَّ مؤلفه كان يُعنى بإيصال الفكرة والصورة بأسهل أُسلوب وأوضحه ، غير مهتم كثيرا بالصنعة والتصنع ، وغير مُنْساق الى أساليب الذين اهتموا بأنواع البديع ، ولاسيما السجع الذي كان من أوضح سمات الكتابة في العهود المتأخرة . ولا يعني هذا أنَّ الكتاب خلا من السجع إذ كان المؤلف يلجأ اليه حين يصف ، ومن ذلك : ((قالت : وَيلي عند إنزالي في القبور يا مَنْ يعلم ما في الصدور ويجازي يوم البعث والنشور ، مَنْ جاء بي من بين الستور والخدور ، ووضعني بين أربعة قبور)) (ل ٥٥) .

ومن ذلك : ((من المسكينة العاشقة الحزينة المفارقة ، التي ضاع بحبك شبابُها ، وطال فيك عذابُها)) (ل ٢٥١) .

ومنه في وصف الفتاة : ((لها فم كأنه خاتمُ سليمان ، وشعر أسودُ من ليل الصدود على الكئيب الولهان ، وغرة كهلال رمضان ، وعيون تحاكي عيون الغزلان ، وانف أقنى كثير اللمعان ، وخدان كأنهما شقائق النعمان ، وشفتان كأنهما مَرْجان ، وأسنان كأنها لؤلؤ منظوم في قلائد العقيان ، وعنق كسبيكة فضة فوق قامة كغصن البان)) (ل ٧٥١) .

ولا يخرج وَصْفُ النساء في الليالي عن هذه الأوصاف ، وهي الأوصاف التي ذكرها الشعر العربي ورسائل الحب منذ القديم .

ومنه وصف بستان : ((فدخلوا البستان فإذا هو بستانٌ بابه مُقَنْطَرٌ ، عليه كروم ، وأعنابُه مختلفة الألوان ، الأحمر كأنَّه ياقوت ، والأسود كأنَّه آبنوس ، فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الثمار صِنوانا وغير صِنْوان ، والأطيار تغرد بألحان على الأغصان ، والهزار يترنم ، والقُمريّ يملأُ صوتُه المكان ، والشحرور كأنَّه في تغريده إنسان ، فاكهة زوجان ، والمشمش ما بين كافوري ولوزي ومشمش خراسان ، والبرقوق كأنه لون الحسان ، والقراسية تذهل عقل كل إنسان ، والتين ما بين أحمر وأبيض وأخضر من أحسن الألوان ، والزهر كأنَّه اللؤلؤ والمرجان ، والورد يفضح بحمرته خدودَ الحسان ، والبنفسج كأنه الكبريت دنا من النيران ، والآس والمنثور ، والخزامى مع شقائق النعمان ، وتكلمت تلك الاوراق بمدامع الغمام ، وضحك ثغر الأقحوان ، وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السُّودان ، والأُترج كأنه أكواب ، والليمون كبنادق من ذهب ، وفرشت الأرض بالزهر من سائر الألوان ، وأقبل الربيعُ فأشرق ببهجته المكان ، والنهر في خرير ،

والطير في هَدير ، والريح في صفير ، والزمان في اعتدال ، والنسيم في اعتلال)) (ل ٤٨) .

لقد جمع المؤلف في هذه اللوجة الوصفية كثيرا من الصور والتشبيهات ، وشَخَّصَ الأزهار ، فالأوراق تتكلم ، والأُقحوان يضحك ، والنرجس ينظر ، والربيع يُقبل ، والمكان يُشرق ، وهذه كلها صور تشخيصية ، فكأنَّ الأزهار والربيع والمكان بشر يتكلمون ويضحكون وينظرون .

وازيَّن كتاب (ألف ليلة وليلة) بالآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، والأمثال ، والأشعار مما أكسبه روحا عربية وَسِمَةً أدبية ، وأُسلوبا واضح الملامح ، لا يكاد يكد ذهن المتلقي على الرغم مما جاء فيه من دلالات جديدة أوضح بعضها دوزي، ويفهم بعضها من السياق .

(٦)

لقد قيل إنَّ كتاب (ألف ليلة وليلة) مُتَرْجَمٌ عن كتاب (هزار أفسان) ، وإنَّ ألفاظه عامية ، وأُسلوبه ركيك ، وقد يكون ما ترجم غير هذا ، وقد يكون ما فيه من بعض الضعف ما أصاب مخطوطاته وطبعاته من تحريف وتغيير ، وحذف وإضافة ، وهو على الرغم من هذا عربيّ اللغة والأُسلوب ، إذ أنَّ معظم ألفاظه احتفظت بمعانيها الأصلية ، وأنَّ بعضها تغيرت دلالتها ، وان بعضها القليل تَسَرَّبَ مما كان شائعا من ألفاظ الفرنجة والفرس والأتراك .

إنَّ قراءة الكتاب بدقة وإمعان تُظهر ذلك ، ويبين أن مؤلفه متضلع من العربية ، عارف ألفاظها وعلومها ، ذا ذوق رفيع يمثل ذوق عهده أحسن تمثيل .

إنَّ وحدة اللغة، واستعمال الألفاظ في عدة ليال بمعناها الحقيقي، المجازي أو الدلالي ، وإن انسياب الأُسلوب بصورة واحدة ، والربط بين الليالي ، والانتقال من قصة الى أُخرى انتقالا لا عوج فيه ، كل ذلك يؤيد أنَّ كتاب (ألف ليلة وليلة) عربيّ ، وأن مؤلفه واحد ، استطاع أَنْ يُلمَّ ما قرأ أو ما سمع ويصوغه بأُسلوب واحد ، وأَنْ يملأ الفراغ من عنده بما أُوتي من تصور وقوة خيال . فضلا عن أنَّ ما جاء في الكتاب من آيات قرآنية ، وأَحاديث نبوية ، وأُمثال ، وأَشعار يُؤيد عروبته ، ويؤكد أَنَّ مؤلفه واحد عَرَفَ كيف يوظف الآيات ، والأَحاديث ، والأَمثال ، والأَشعار ، ويأتي بما يزيدها وضوحا .

ومهما يكن من أَمر ، فإنَّ الكتاب أَروع كتاب قصصي خلفته القرون العربية الأَخيرة ، وهو كما قال الدكتور طه حسين : ((هذا الكتاب الذي خلب عقول الأَجيال في الشرق والغرب قرونا طوالا ، والذي نظر الشرق اليه على أَنه متعة ولهو وتسلية ، ونظر الغرب اليه على أَنه كذلك متعة ولهو وتسلية ، ولكن على انه بعد ذلك خليق أَنْ يكون موضوعا صالحا للبحث المنتج ، والدرس الخصب)) .

أَجَلْ ، إنَّ كتاب (أَلف ليلة وليلة) ((خليق أَنْ يكون موضوعا صالحا للبحث المنتج ، والدرس الخصب)) وقد درسه الباحثون من العرب والأَجانب دراسات مستفيضة تطرقت الى أُصوله ، ومؤلفه ، وزمان تأليفه ، ومكانه ، وما تضمَّن من قضايا دينية ، واجتماعية وخلقية ، وسياسية ، وما فيه عن المرأة أَمة وحرة ، وقورن ببعض الأَعمال الأَجنبية والعربية ، ودُرِسَ بعضُهُ دراسة سيمائية تفكيكية ، وبقيت لغته التي لم تدرس دراسة معمقة على الرغم من الإِشارة الى ذلك ورسم بعض ملامحها ، ومن ذلك ما قالته أُستاذتي الدكتورة سهير

القلماوي ــ رحمها الله ــ : ((أمَّا اللغة في الليالي فقد تأثرت بالإسلام تأثرا قويا ، فكثرت ألفاظٌ ، ومصطلحاتٌ ، وتعبيراتٌ تختص بالإسلام ، لا تكاد صفحة من الكتاب تخلو منها)) . وهذه أوّل إشارة من باحثة عربية الى لغة الكتاب ، وهي تحتاج الى تفصيل ، ودراسة الجوانب اللغوية المختلفة أكثر مما سعى اليه بحث ((لغة ألف ليلة وليلة)) الذي اتضح فيه :

أولا : أنَّ لغة الكتاب عربية سليمة الى حد بعيد .

ثانيا : أنَّ معظم ألفاظه احتفظ بمعانيها الأصلية ، وانْزاحَ بعضها ليدل على غير ما وضعت له .

ثالثا : أنَّ بعض الألفاظ الأعجمية تَسَرَّبَتْ الى لغة الكتاب .

رابعا : أنَّ أُسلوب الكتاب عربيّ فيه مسحة جمالية وفنية .

خامسا : أنَّ أُسلوب الكتاب يمثل الوسط بين الأساليب العربية ، فلا هو كأساليب عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، والجاحظ ، والتوحيدي ، ولا هو كاسلوب القاضي الفاضل ، ومن تبعه من كُتّاب الرسائل ، ومؤلفي الكتب في العهود المتأخرة .

لقد تَعَرَّضَ هذا البحث لهذه المسائل بإيجاز ، ويبقى كتاب الليالي مجالا لدراسة لغته بتفصيل ، وعقد مقارنة بين لغته ، ولغة المؤلفات التي ظهرت في زمانه ، من حيث الألفاظ ، وتحديد الخاص منها بكل إقليم ، وما بينها من اختلاف في الدلالة ، ورصد الإسلامي والأعجمي منها ، ودراسة الأساليب لتظهر طوابع ذلك العهد اللغوية والأُسلوبية .

إنَّ مثل هذه الدراسة تُلْقي الضوءَ على حَلْقَة من حَلَقات تأريخ لغة الضاد التي قد تكون غير مدروسة ، او أنَّها مُسَّت مَسّا رقيقا .

ومثل هذه الدراسة تستغرق وقتا ، وتستهلك جهدا ، لأنها جديدة أوّلا ، ومتشعبة ثانيا . ولعل أهم ما تحتاج اليه هذه الدراسة :

أولا : اعتماد أدَقّ طبعة من كتاب (ألف ليلة وليلة) ، وقراءتها اكثر من مرة ، وتسجيل الملاحظات التي تدخل في صلب الدراسة .

ثانيا : متابعة الاختلافات في طبعات الكتاب ، إذْ قد تُذكر كلمة في طبعة ، وتُذكر غيرها في طبعة أُخرى ، ولذلك اعتمد دوزي عدة طبعات ، وهو يفسر معاني ألفاظها .

ثالثا : قراءة أهم كتب العهد الذي يُظن أنّ الكتاب وُضِعَ فيه ، وتسجيل ما يُعزّز الصلة بينه وبينها .

رابعا : متابعة الألفاظ التي تغيرت دلالتها ، ومدى صلتها بالفصيح .

خامسا : الاستعانة بمن يعرفون لغات أجنبية لتفسير الألفاظ الأعجمية التي وردت في الكتاب وتحديد دلالاتها .

قد تستغرق هذه الدراسة زمنا طويلا ، والعمل الجاد جدير بالزمن الذي يُستغرق لانجازه ، فقد قضى دوزي أربعين عاما في جمع مادة (تكملة المعاجم العربية) وتصنيفه ، وإنه لجدير بالعرب أنْ يصرفوا الوقت ، ويبذلوا الجهد ليخدموا لغتهم التي نزل بها كتاب الله العزيز ، ولينتفع اللغويون والباحثون ، وهم يضعون المعاجم الجديدة ، ويصنفون المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية .